صورةُ البطلِ (الخليفةِ) في الشِّعر العبَّاسيِّ في القرنِ الثَّالث الهجريِّ

إعداد الطَّالبة: هبه عبد النَّاصر نوايا

إشراف: أ.د. أحمد دهمان

المشرف المشارك: د. محي الدّين المسدّيّ

قسم اللُّغة العربيَّة ـ كلّيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة ـ جامعة البعث

ملخَّصُ البحثِ

يعرضُ البحثُ لصورة البطل الخليفة في الشِّعر العبَّاسيّ في القرن الثَّالث الهجريّ, وقد بدأ بتعريف البطولة لغةً واصطلاحاً, ثمَّ عرَّفَ الخلافة بوصفها نظاماً للحكم, وبيَّنَ المراحل الَّتي مرَّت بها وصولاً إلى خلفاء القرن الثَّالث الهجريّ, ثمَّ عرضَ لصورة الخليفة الدِّينيَّة, وصورة الخليفة السِّياسيَّة, واعتمد تقسيم القرن الثَّالث الهجريّ إلى زمنين؛ زمنِ القوَّة, وزمنِ الضَّعف, ودرس مدى تأثُّر صورة الخليفة في هذين الزَّمنين, وانتهى بخاتمة اشتملت على أبرز النَّتائج.

الكلمات المفتاحيَّة: الصُّورة, البطولة, الخليفة, القرن الثَّالث الهجريُّ.

Abstract

The research presents the image of the hero Caliph in the Abbasid poetry of the 3rd hijri century, beginning with defining heroism linguistically and what the term implies, then defining the Caliphate as a system of government, and defining the stages it went through to the successor Caliphs of the 3rd hijri century. Then the research displayed the Caliph's religious and political image, and it counted the division of the 3rd hijri century into two eras: an era of strength, and an era of weakness. Then it examined the degree to which the image of the Caliph was affected in those two eras. And finally, it ended with a conclusion that highlighted the results.

Key words: image, heroism, caliph, caliph.

مقدّمة:

البطولةُ ظاهرةٌ عَرَفَتْها البشريَّةُ منذ فجر التَّاريخ, تغنَّى بها الشُّعراء, وسادت ثقافاتِ الشُّعوبِ, وتفاوتت مظاهرُها ومفهوماتُها.

وقد احتلَّ الأبطال مكانةً متميّزةً في شعر العرب منذ الجاهليَّة, وكثرت الدِّراسات الَّتي تناولت صورة البطل في هذا الشِّعر, ويأتي بحثنا هذا لِيَخُصَّ بالدِّراسةِ البطلَ الخليفةَ كونَهُ خليفةَ الله في أرضه, والمثل الأعلى, والنَّموذج الأمثل الَّذي يُحْتَذَى به.

وينبغي لنا أن نشير إلى أنَّنا سنتناول في بحثنا هذا صورة الخليفة في شعر شعراء السُّلطة الَّذين حضروا مجالس الخلفاء, ومشَوا في ركابهم, وشهدوا معاركهم وفتوحاتهم.

مشكلةُ البحثِ:

لعلَّ معظم الدِّراسات الَّتي تناولت البطولة في الشِّعر العربيِ لم تولِ صورةَ البطل (الخليفة) في شعر القرن الثَّالث الهجريّ الأهميَّةَ الَّتي تستحقُّها؛ إذ كانت هذه الدِّراسات تعرض مفهوماً عامَّاً للبطولة عند شاعرٍ معيَّنٍ, وبذلك لم تستطع رصد تطوُّرِ هذه الظَّاهرة في شعر شعراء هذا الوقت.

أهميَّةُ البحثِ:

تتبدَّى أهميَّةُ البحث في أنَّها تكشف عن صورةِ البطل (الخليفة) في شعر القرن الثَّالث الهجريّ, ولا سيما أنَّ هذا القرنَ يمثِّلُ مرحلةً حرجةً من مراحل الخلافة العبَّاسيَّة, فهو زمنٌ وسطٌ بين عصر القوَّة للدَّولة وعصر الضَّعفِ.

الهدَفُ من البحثِ:

الوقوفُ على صورة البطل (الخليفة) لدى شعراء القرن الثَّالث الهجريّ, وبيانُ اختلاف هذه الصُّورة بين شعر مرحلة الخلافة الفعليَّة, ومرحلة الخلافة الاسميَّة.

منهجُ البحثِ:

تفرض طبيعة البحث أن يستعين بأكثرَ من منهجٍ للوصول إلى الهدف منه, فلا بُدَّ من الاستعانة بالمنهجِ التَّاريخيَّ الَّذي يُعنَى بدراسةِ الظَّواهر الأدبيَّةِ في عصر من العصور, والوقوف على أسباب نشوئها وتطوُّرها, كما سنعتمدُ على المنهج الفنِّيّ التَّحليليّ لإبراز السِّمات الفنِّيَّة للنصوص المدروسة.

الإطار النَّظريُّ للبحث:

يشمل هذا الإطارُ الحديثَ عن معنى البطولة في اللُّغة والاصطلاح, ومفهومِ الخلافةِ ومراحل تطوُّرها وصولاً إلى خلفاء القرن الثَّالث الهجريّ.

- **البطولةُ لغةً:**

جاء في لسان العرب: " بَطَلَ الشَّيءُ يَبْطُلُ بُطْلاً وبُطُولاً وبُطْلاناً: ذهب ضَياعاً وخُسْراً، فهو باطل، وأبطله هو, ويقال: ذهب دمه بُطْلاً أي هَدَرَاً ... والبطل: الشُّجاع, وفي الحديث: شاكي السِّلاح بطلٌ مُجَرَّب, ورجل بطل بيِّنُ البَطَالَة والبطولة: شجاع تَبْطُلُ جِرَاحتُهُ فلا يكترث لها, ولا تبْطُلُ نَجَادتُهُ، وقيل: إنَّما سمِّي بطلاً لأنَّه يُبْطِلُ العظائم بسيفه فيُبَهْرجُها، وقيل: سمِّي بطلاً لأنَّ الأشدَّاء يبطلون عنده، وقيل: هو الَّذي تبطل عنده دماء الأقران فلا يُدْرَكُ عنده ثأرٌ من قوم أبطال، وبطَّالٌ بيِّنُ البَطَالة والبِطَالة, وقد بَطُلَ، بالضَّمِّ، يَبْطُلُ بُطُولةً وبَطَالَةً أَي صار شجاعاً وتَبَطَّلَ "[1].

[1] ابن منظور (711هـ), محمَّد بن مَكْرَم, لسان العرب, دار صادر, بيروت, ط2, 1412هـ, 1992م, مادَّة (بَطَلَ).

- **البطولة اصطلاحاً:**

من سمات اللُّغة العربيَّة أنَّ المعنى اللغويَّ لأيِّ لفظ فيها يتطوَّرُ تاريخيَّاً, ويكتسب دلالات جديدةً لم تكن فيه من قبل, والبطولة كغيرها من الألفاظ تطور معناها, وكثرت دلالاتها.

جاء في المعجم المفصَّل في الأدب: " البطولة: وتعني البسالة والإقدام, وهي ممَّا يحبُّهُ النَّاسُ ولا سيَّما البطولة في الأدب, ولهذا كثرت كتب الحماسة والجهاد "[1].

وعرَّف معجم المصطلحات العربيَّة في اللُّغة والأدب البطلَ بقوله: " شخصيَّةٌ أسطوريَّةٌ ـ قد تكونُ من سلالةٍ إلهيَّةٍ حسب معتقدات الدِّيانات الوثنيَّة والمشركة ـ لها قوَّةٌ خارقةٌ, ومهارةٌ تميزُها عن البشر, مثال ذلك: هِرَقْل أو أَخِيل في الأساطير اليونانيَّة القديمة "[2], وذكر تعريفاً آخر له, هو: " محاربٌ شهيرٌ أو إنسانٌ يُعْجَبُ به النَّاسُ لِمَا له من مآثرَ ومكرمات, وذلك مثل عنترة عند العرب "[3].

والبطولةُ عند شوقي ضيف ما " يرتفع فيها صاحبها عن الأشخاص العاديّين من حوله بقوَّتِهِ وبسالتِهِ وإقدامِهِ وجرأتِهِ وتغلُّبِهِ على أقرانِهِ, وهو منهم, من ذات أنفسهم, لا من سلالة الآلهة وأنصاف الآلهة, بشرٌ سويٌّ لا يعلو على الحدود البشريَّةِ الإنسانيَّة, وبطولتُهُ لذلك تتفجَّر من وجوده الإنسانيّ البشريّ لا من ينابيعَ إلهيَّةٍ أو سحريَّةٍ غيبيَّةٍ, بطولةٌ إنسانيَّةٌ لا تتَّشح بقوىً خفيَّةٍ بل تُسْتَمَدُّ من الواقع وحقائقه لا من الخيال وخوارقه "[4].

---

[1] ألتونجيّ, محمد, المعجم المفصَّل في الأدب, دار الكتب العلميَّة, بيروت, لبنان, ط2, 1419هـ ـ 1991م, 190/1.

[2] وهبة, مجدي ـ المهندس, كامل, معجم المصطلحات العربيَّة في اللُّغة والأدب, مكتبة لبنان, بيروت, ط2, 1984م, ص78.

[3] المرجع السَّابق, ص78.

[4] ضيف, شوقي, البطولة في الشِّعر العربيّ, دار المعارف, القاهرة, ط2, د.تا, ص13.

وهي عند أحمد الحَوْفِيِّ: " مجموعة من الممارسات أو الأفعال الإنسانيَّة العظيمة, الَّتي يقوم بها فرد أو مجموعة من الأفراد توصلهم إلى منزلة رفيعة في نفوس النَّاس كافَّةً أو أقوامهم, ممَّا يجعل هؤلاء النَّاس يصفونهم بالأبطال "[1].

نلحظُ ممَّا سبق من تعريفات أنَّ المعنى الاصطلاحيَّ حافظ على دلالة البطولة اللُّغويَّة من حيثُ إنَّها تعبيرٌ عن القوَّة والشَّجاعة, لكنَّهُ في الوقت نفسه أضافَ إليها معانيَ أُخَرَ تتَّصل بكلِّ فعل كريم يُحْمَدُ عليه فاعلُهُ.

- **الخلافة:**

عرَّفها ابن خلدون بقوله: " حملُ الكافَّةِ على مقتضى النَّظر الشَّرعيِّ في مصالحهم الأخرويَّة والدُّنيويَّة الرَّاجعة إليها, فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشَّرع في حراسة الدِّين وسياسة الدُّنيا به "[2], وجعل لها شروطاً أربعة هي: " العلم, والعدالة, والكفاية, وسلامة الحواسِّ والأعضاء, ممَّا يؤثِّر في الرَّأي والعمل, واختُلِفَ في شرط خامس وهو النَّسب القُرشيُّ "[3].

مقدِّمة تاريخيَّة في تطوُّر الخلافة..

مرَّت الخلافة الإسلاميَّة بمراحل متعدِّدة وصولاً إلى الخلافة العبَّاسيَّة, فعقب وفاة النَّبيِّ ﷺ بدأت مرحلة الخلافة الرَّاشدة, فكان أبو بكر الصِّدِّيقُ ﷺ أوَّل الخلفاء الرَّاشدين إذ تولَّاها سنة 11هـ[4], ولُقِّب بخليفة رسول الله, وظلَّ خليفة إلى أن توفِّي سنة 13هـ, وهو ابنُ ثلاثٍ وستِّين

---

[1] الحَوْفِيّ, أحمد, البطولة والأبطال, مكتبة نهضة مصر, القاهرة, 1957م, ص24.

[2] ابن خلدون, وليُّ الدِّين عبد الرَّحمن بن محمَّد (808هـ), مقدِّمة ابن خلدون, تحقيق: عبد الله محمَّد الدَّرويش, دار يعرب, ط1, 2004, 365/1.

[3] المرجع السَّابق, 368/1.

[4] الطَّبريُّ (310هـ), أبو جعفر محمَّد بن جرير, تاريخ الطَّبري (تاريخ الرُّسل والملوك), تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم, دار المعارف, مصر, ط2, د.تا, 223/3 ـ 227, والسُّيوطيُّ (911هـ), جلال الدِّين, تاريخ الخلفاء, دار ابن حزم, ط1, 1424هـ, 2003م, ص55 ـ 59.

سنةً[1], ثمَّ تولَّى الخلافةَ بعده عمرُ بن الخطَّاب ﷺ بِعَقْدٍ عقده له في مرضه[2], فَسُمِّيَ أميرَ المؤمنين, ولم يُسمَّ خليفةَ خليفةِ رسول الله كراهةَ الإطالة[3], وبقي خليفةً إلى أن قُتِلَ سنة 23هـ[4], ثمَّ بويع بعده لعثمان بن عفَّان ﷺ من قبل أصحاب الشُّورى الَّذين اختارهم عمر بن الخطَّاب قبل وفاته[5], وظهرت في مدَّة خلافته أحداث الفتنة الَّتي أدَّت إلى قتله سنة 35هـ[6], ثمَّ بويع لعليّ بن أبي طالب ﷺ في اليوم الَّذي تلا مقتل عثمان, وكانت وقعتا الجمل وصفِّين من أهمِّ الأحداث الَّتي شهدتها خلافته الَّتي انتهت بمقتله سنة 40هـ[7], وبذلك انتهت مرحلة الخلافة الرَّاشدة, ليبدأ بعدها عهد الخلافة الأمويَّة سنة 41هـ, وقد أسَّسها معاوية بن أبي سفيان ﷺ, وانتهت سنة 132هـ في زمن مروان بن محمَّد, وتولَّى الحكم فيها أربعةَ عَشَرَ خليفةً[8], وشهدت الخلافة الأمويَّة تغيُّرَ نظام الحكم من نظام الشُّورى إلى نظام التَّوريث, إذ أسند خلفاء بني أميَّة ولاية العهد لأحد أبنائهم أو إخوانهم, وفي بعض الأحيان كانت ولاية العهد تُسْنَدُ إلى أكثر من شخص, وقد اتَّبع خلفاء بني العبَّاس في ولاية العهد الأسلوب ذاته الَّذي سار عليه الأمويُّون, وهو عقد الولاية لِمَنْ بعدهم من إخوة أو أبناء؛ فولَّى هارون الرَّشيد ولاية العهد أولادَهُ الثَّلاثة؛ الأمينَ والمأمونَ والمؤتَمَنَ, فكان ذلك شرخاً كبيراً في جسد الخلافة العبَّاسيَّة كان له تبعات كثيرة فيما بعد؛ إذ وقع الخلاف بين الأمين والمأمون, واتَّخذ الأمين العرب شيعةً له, وكان الفرس شيعةَ المأمون, وانتهى هذا الخلاف بمقتل الأمين وتسلُّم المأمون الخلافة, ثمَّ جاء المعتصم الَّذي تخلَّص من العنصر الفارسيّ, واستجلب العنصر التُّركيَّ, وسلَّمهم مناصب

[1] تاريخ الطَّبريّ, 419/3, وتاريخ الخلفاء, ص67 ـ 70.
[2] تاريخ الطَّبريّ, 428/3, وتاريخ الخلفاء, ص67 ـ 70.
[3] تاريخ الطَّبريّ, 208/4, وتاريخ الخلفاء, ص112.
[4] تاريخ الطَّبريّ, 190/4, وتاريخ الخلفاء, ص109.
[5] تاريخ الطَّبريّ, 227/4–241, وتاريخ الخلفاء, ص110, و124.
[6] تاريخ الطَّبريّ, 365/4–396, وتاريخ الخلفاء, ص130.
[7] تاريخ الطَّبريّ, 143/5, وتاريخ الخلفاء, ص140 ـ 141.
[8] طقوش, محمَّد سهيل, تاريخ الدَّولة الأمويَّة, دار النَّفائس, ط7, 1431هـ, 2010م, ص25.

الدَّولة, ولمَّا مات المعتصم ازداد نفوذ القادة الأتراك في الدَّولة, وكان مقتل الخليفة المتوكِّل سنة 247هـ بداية ضعف الخلافة العبَّاسيَّة, وتحكُّم الأعاجم بمقاليد الحكم.

وعلى هذا يمكننا تقسيم القرن الثَّالث الهجريِّ قسمين اثنين؛ زمن القوَّة, وزمن الضَّعف, والحدُّ الفاصل بينهما مقتل المتوكِّل على يد بعض القادة الأتراك بمساعدة ابنه وليِّ عهده.

وبما أنَّ الشِّعر مرآة الواقع, يعكس فيها الشَّاعر رؤيته ورؤياه, كان لا بدَّ من اختلاف صورة الخليفة بين النِّصف الأوَّل من القرن الثَّالث الهجريِّ والنِّصف الثَّاني منه, وقد توزَّعت صورة الخليفة في البحث على قسمين: (صورة الخليفة الدِّينيَّة, وصورة الخليفة السِّياسيَّة), وقد حاول تلمُّس الفروق بين الزَّمنين إن وجدت.

صورة الخليفة الدِّينيَّة:

أطَّر الشَّاعر صورة البطل الخليفة ضمن إطار من القداسة, فهو خليفة الله في الأرض, استمدَّ ملكه منه ﷻ, مؤيَّد بالمدد الإلهيِّ, ولذلك جرت العادة عند معظم الشُّعراء أن يبدؤوا مدح الخليفة بألفاظ وألقاب مرتبطة بلفظ الجلالة, ومن ذلك مدح إبراهيم بن المهديِّ[1] للخليفة المعتصم[2]: (مجزوء الرَّمل)

---

[1] إبراهيم بن المهديِّ: هو أبو إسحاق إبراهيم بن المهديِّ بن المنصور, أخو هارون الرَّشيد, لم يُرَ في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لساناً ولا أحسن منه شعراً, ولد سنة 162هـ, وتوفي سنة 224. من ترجمته في: ابن خَلِّكان (681 هـ), أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن أبي بكر, وَفَيَاتُ الأعيان وأنباءُ أبناء الزَّمان, حقَّقه: د. إحسان عبَّاس, دار صادر, بيروت, د.ط, د.تا, 39/1 ـ 42, والصَّفديُّ (764هـ), صلاح الدِّين خليل بن أيبك, الوافي بالوفيات, تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط ـ تركي مصطفى, دار إحياء التُّراث العربيِّ, بيروت, ط1, 1420هـ ـ 2000م, 73/6 ـ 75.

[2] ابن المهديِّ, إبراهيم, شعره وأخباره ونثره (224هـ), جمع وتحقيق ودراسة: محمَّد مصطفى أبو شوارب, الإسكندريَّة, ط1, 2007م, ص149.

والمعتصم: هو أمير المؤمنين محمَّد بن هارون أبو إسحاق المعتصم بن الرَّشيد بن المهديِّ, بويع له بالخلافة سنة 218هـ, كان ذا شجاعة وقوَّة وهمَّة عالية, سمِّي بالمثمَّن؛ لأنَّه ثامن خلفاء بني العباس, وحكم ثماني سنين وثمانية أشهر, وفتح ثمانية فتوح, وقتل ثمانية أعداء, من أهمِّ أعماله فتح عمُّوريَّة بنفسه, ولد سنة 180هـ,

يَـــــا أَمِـــــيْنَ اللهِ إِنَّ الـــــــْ حَمْـــــــــــدَ للهِ كَثْيِـــــــــــرَا
هَكَـــــذَا النَّصْـــــرُ فَـــــلَا زَا لَ لَـــــــــــكَ اللهُ نَصِـــــــــــيْرَا
وَعَلَـــــى الأَعْـــــدَاءِ أُمْطِيْـــــــ ـــــــتَ مِـــــنَ اللهِ ظَهِيْـــــرَا
وَهَنِيْئَـــــــاً هَيَّـــــــأَ اللـــــــــ ـــــهُ لَـــــكَ الفَـــــتْحَ الخَطِيْـــــرَا

استهلَّ الشَّاعر أبياته بنداء للخليفة (يا أمين الله), وهو نداءٌ بالأداة (يا) التَّي يُنادى بها البعيدُ, وفي ذلك مناسبةٌ لمقام الخلافة العالي, ثمَّ حمد الله على النَّصر الَّذي حقَّقهُ على الأعداء, وهو نصرٌ ما كان ليحصل لولا التَّأييدُ من الله ﷻ.

وجرت عادةُ الشُّعراء إذا قضى خليفةٌ وتسلَّم الحكم آخرُ أن يقرن العزاء بوفاة السَّلف بتهنئة الخلف بمناسبة استلامه مقاليد السُّلطة, وهو في ذلك كلِّه لا ينسى أن يُسْبِغَ الصِّفات الدِّينيَّة على الممدوحين, نجد ذلك عند ابن الزَّيَّات[1] الَّذي رثى المعتصم, وهنَّأ الأمَّة بتولِّي هارون الواثق[2] من بعده, فهو خير خلف لخير سلف, قال[3]: (المنسرح)

وتوفي سنة 227هـ. من ترجمته في: البغداديُّ (463هـ), الخطيب, أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت, تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السَّلام وأخبار محدِّثيها وذكر قُطَّانها العلماء من غير أهلها وواردِيها), حقَّقه وضبط نصَّه وعلَّق عليه: د. بشَّار عوَّاد معروف, دار الغرب الإسلاميّ, بيروت, ط1, 1422هـ ـ 2001م, 547/4, والوافي بالوفيات, 94/5 ـ 95.

[1] ابن الزَّيَّات: أبو جعفر محمَّد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة, وزر لثلاثة خلفاء, المعتصم والواثق والمتوكِّل, كان من أهل الأدب الظَّاهر والفضل الباهر, أديباً فاضلاً بليغاً عالماً بالنَّحو واللُّغة, مدحه البحتريُّ وأبو تمَّام وجماعة من شعراء عصره, توفِّي سنة 233هـ. من ترجمته في: تاريخ بغداد, 593/3, ووفيات الأعيان, 94/5 ـ 102.

[2] الواثق: أمير المؤمنين هارون بن محمَّد بن عبدالله بن عليّ, الواثق بالله بن المعتصم بن الرَّشيد, بويع بالخلافة في اليوم الذي توفِّي فيه المعتصم سنة 227هـ, فكانت مدَّة خلافته خمس سنوات وستَّة أشهر وستَّة أيَّام, ولد سنة 190هـ, وتوفِّي سنة 232هـ. من ترجمته في: تاريخ بغداد, 22/16, والوافي بالوفيات, 120/27 ـ 122.

[3] ابن عبد الملك الزَّيَّات (232هـ), محمَّد, ديوانه, تحقيق: جميل سعيد, المجمع الثَّقافيُّ, ط1, د.تا, ص144.

اذْهَبْ فَنِعْمَ الحَفِيْظُ كُنْتَ عَلَى الـــ ـــدُّنْيَا وَنِعْـــمَ الظَّهِيْـــرُ لِلـــدِّيْنِ

لَـــنْ يَجْبُـــرَ اللهُ أُمَّـــةً فَقَـــدَتْ مِثْلَـــكَ إِلَّا بِمِثْـــلِ هَـــارُوْنِ

يرثي الشاعر الخليفة المعتصم ويشيد بالخليفة الواثق, لضمان بقائه في بلاط الخليفة ولا سيَّما أنَّه كان وزيراً في الدَّولة, فأسبغ الصِّفاتِ الدِّينيَّةَ على الخليفة المتوفَّى الَّذي كان خير معين للدِّين, وعلى الخليفة الجديد الَّذي جبر الله به كسر الأمَّة.

والخليفة بالنِّسبة إلى الشُّعراء المادحين حارس الدِّين, وإليه وحدَهُ تُوْكَلُ مهمَّة تقويم قناته إذا اعوجَّتْ, وحمايته من الطاعنين به, والمترصِّدين له, يقول البحتريُّ[1] مادحاً المعتزَّ بالله[2]: (الطَّويل)

لَبِسْـــنَا مِـــنَ المُعْتَـــزِّ بِـــاللهِ نِعْمَـــةً هِـــيَ الـــرَّوْضُ مَوْلِيَّـــاً بِغُـــزْرِ السَّـــحَائِبِ

أَقَـــامَ قَنَـــاةَ الـــدِّيْنِ بَعْـــدَ اعْوِجَاجِهَـــا وَأَرْبَـــى عَلَـــى شَـــغْبِ العَـــدُوِّ المُشَـــاغِبِ

وَمُعْتَصِـــمِيُّ العَـــزْمِ يَـــأْوِيْ بِرَأْيِـــهِ إِلَـــى سَـــنَنٍ مِـــنْ مُحْكَمَـــاتِ التَّجَـــارِبِ

تُفَضِّـــلُهُ آيُ الكِتَـــابِ وَيَنْتَهِـــي إِلَيْـــهِ تُـــرَاثُ الغُلْـــبِ مِـــنْ آلِ غَالِـــبِ

---

[1] البحتريُّ: هو أبو عبادة الوليد بن يحيى, الطَّائيُّ البحتريُّ الشَّاعر المشهور, مدح الخلفاء وأوَّلهم المتوكِّل, وخلقاً من الأكابر والرُّؤساء, كان فاضلاً أديباً فصيحاً بليغاً شاعراً مجيداً, تشبَّه بأبي تمَّام وحذا حذوه, ولد بمنبج, وتوفِّي فيها سنة 284هـ. من ترجمته في: وفيات الأعيان, 21/6 ـ 31, والوافي بالوفيات, 271/27 . 276.

[2] البحتريّ (284هـ), ديوانه, تحقيق: حسن كامل الصَّيرفيّ, دار المعارف, ط3, د.تا, 109/1.
المعتزُّ بالله: هو محمَّد أمير المؤمنين, المعتزُّ بالله بن جعفر المتوكِّل, بويع له عند خلع المستعين سنة 251هـ, كان مستضعفاً مع الأتراك, إذ خلعوه وأحضروا المهديَّ لمبايعته, لم يعذَّبْ خليفة ما عُذِّبَ على صغر سنِّه, ولد سنة 232هـ, وقيل 233هـ, وتوفِّي سنة 255هـ. من ترجمته في: تاريخ بغداد, 487/2, والوافي بالوفيات, 217/2 ـ 218.

إنَّ الخليفة في نظر الشَّاعر مصدر الخيرات, فإذا أصابه نعمة فهي متَّصلة بسبب منه, وليؤكِّد ذلك استعان بصورتين فنّيَّتين في بيت واحد؛ ففي الشَّطر الأوَّل استعار لفظ اللِّباس للدَّلالة على النِّعمة؛ فكما أنَّ اللِّباس يغطّي الجسد كلَّه فكذلك نِعَمُ الخليفة وأعطياته, وفي الشَّطر الثَّاني شبَّه هذه النِّعم بالرِّياض, وهو المدافع عن الدِّين إذا طعن به طاعن, والمُعَاقِبُ بما يزيدُ على جرم الطَّعن, ثمَّ يشبِّه عزمه بعزم المعتصم بالله, وفي هذا التَّشبيه دلالة على بلوغ المعتصم الغاية في القوَّة حتَّى غدا رمزاً يُشَبَّهُ به غيرُهُ.

وممَّا يدخل في الصِّفاتِ الدِّينيَّة الَّتي يتمتَّع بها البطل الخليفة أن يُستسقى به إذا أجدبت البلاد, وقلَّ المطر, فلا يجد النَّاس مَنْ يتوجَّهون به إلى الله يسقيهم الماء بسببه غيرَ الخليفة, ولعلَّ ذلك له صلة بما فعله عمر بن الخطَّاب ﷺ عندما استسقى بالعبَّاس بن عبد المطَّلب لقرابته من رسول الله ﷺ[1], فكأنَّ الاستسقاء بالخلفاء له سببان اثنان؛ الأوَّل أنَّهم حرَّاس الدِّين القائمون على حفظه وصيانته, والثَّاني أنَّهم أحفاد العبَّاس الَّذي استسقى النَّاس به عندما أجدبوا, ومن ذلك قول البحتريّ للمتوكِّل[2]: (البسيط)

لَمَّـــا تَعَبَّـــدَ مَحْـــلُ الأَرْضِ وَاحْتَبَسَـــتْ عَنَّـــا السَّـــحَائِبُ حَتَّـــى مَـــا نُرَجِّيْهَـــا

وَقُمْـــتَ مُسْتَسْـــقِيَاً لِلمُسْـــلِمِيْنَ جَـــرَتْ غُـــرُّ الغَمَـــامِ وَحَلَّـــتْ مِـــنْ عَزَالِيْهَـــا

فَـــلَا غَمَامَـــةَ إِلَّا انْهَـــلَّ وَابِلُهَـــا وَلَا قَـــرَارَةَ إِلَّا سَـــالَ وَادِيْهَـــا

[1] أخرج البخاريُّ في صحيحه عن أنس بن مالك أنَّ عمر بن الخطَّاب ﷺ كان إذا قَحَطُوا استسقى بالعبَّاس بن عبد المطَّلب، فقال: " اللَّهمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّلُ إليك بنبيِّنا فتسقينا، وإنَّا نتوسَّلُ إليك بعمِّ نبيِّنا فاسقنا "، قال: فيُسْقَوْنَ. البخاريُّ (256هـ), أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل, صحيح البخاريّ, دار ابن كثير, دمشق, ط1, 1423هـ ـ 2002م, ص245, رَقْم الحديث (1011).

[2] ديوانه, 2411/3 ـ 2412.

والمتوكِّل: هو أمير المؤمنين جعفر بن محمَّد أبو الفضل المتوكِّل على الله بن المعتصم بن الرَّشيد, بويع له بالخلافة بعد الواثق سنة 232هـ, كان جواداً ممدَّحاً, يقال: ما أعطى خليفةٌ ما أعطى المتوكِّل, بايع بولاية العهد من بعده لابنه المنتصر, ثمَّ أراد عزله وتولية المعتزّ, فاتَّفق الأتراك مع ابنه المنتصر على قتله, فدخلوا عليه في مجلسه فقتلوه سنة 247هـ. من ترجمته في: تاريخ بغداد, 45/8, والوافي بالوفيات, 100/11 ـ 101.

تصوِّر الأبيات جانباً مهمَّاً من جوانب الشَّخصيَّة الدِّينيَّة للخليفة, وهذا الجانب هو التَّبرُّك بـه, وطلـب السُّقيا مـن الله ببركتـه, فلـولا مكانـة الخليفـة الجليلـة لَمَـا استُسقِيَ بـه, ونلحـظ فـي الأبيـات اسـتعمال الألفـاظ الدَّالَّـة علـى الجفـاف (تعبَّد, محـل, احتبسـت), والألفـاظ الدَّالَّـة علـى الخيـر والغيـث (السَّـحائب, الغمـام, انهـلَّ, وابلهـا, سـال), وهـذه الألفـاظ وضـعتنا أمـام صـورتين متضـادَّتين, الصُّـورة الأولـى تعبِّـر عـن الحـال السَّـائدة مـن قحـط وجـدب, والصُّـورة المضـادَّة مـن خير كثير متمثِّل بالخليفة الَّذي يستطيع بقدرته تغيير الحال إلى أحسن منها.

ومن لوازم تمتُّع الخليفة بالصِّفة الدِّينيَّة أن يكون زاهداً, خاشعاً في صلاته, وَرِعاً أن يَظْهَرَ شيء من حاله هذه للنَّاس, يقول البحتريُّ مادحاً المعتمد على الله[1]: (الكامل)

مَلِـــكٌ تُحَيِّيْـــهِ المُلُـــوْكُ, وَدُوْنَـــهُ ... سِـــيْمَا التُّقَـــى وَتَخَشُّـــعُ الزُّهَّـــادِ
مُتَهَجِّـــدٌ يُخْفِـــي الصَّـــلَاةَ وَقَـــدْ أَبَـــى ... إِخْفَاءَهَـــا أَثَـــرُ السُّـــجُوْدِ البَـــادِي
أَفْضَـــى إِلَيْـــهِ المُسْـــلِمُوْنَ فَصَـــادَفُوا ... أَدْنَـــى البَرِيَّـــةِ مِـــنْ تُقًـــى وَسَـــدَادِ

تطغـى المبالغـة الكبيـرة علـى الأبيـات السَّـابقة, فالخليفـة يبلـغ الغايـة فـي التُّقـى والزُّهـد, ويستعمل الشَّاعر لذلك صِيَغاً صرفيَّة تدلُّ على ذلك من مثل: (تخشُّع, متهجِّد).

ولمَّا كانت الأعياد من شعائر الدِّين جرت العادة عند بعض الشُّعراء أن يصفوا خروج الخليفة يوم العيد, فلا بدَّ من رمز دينيٍّ يمثِّل تلك الشَّعائر, يقول البحتريُّ واصفاً خروج المتوكِّل يوم الفطر[2]: (البسيط)

أَظْهَـرْتَ عِـزَّ المُلْـكِ فِيْـهِ بِجَحْفَـلٍ ... لَجِـبٍ يُحَـاطُ الـدِّيْنُ فِيْـهِ وَيُنْصَـرُ

---

[1] ديوانه, 732/1 ـ 733.

والمعتمد على الله: أمير المؤمنين أحمد المعتمد على الله بن جعفر المتوكِّل بن محمَّد المعتصم, ويكنَّى أبا العبَّاس, ولي الخلافة بعد المهتدي بالله سنة 256هـ, طالت أيَّام ملكه وكانت الأحوال في أيَّام خلافته مضطربة إلى أن سيطر الموفَّق على الأمور وكفَّ يد المعتمد عن كلِّ عمل, ولد سنة 229هـ, وتوفِّي سنة 279هـ. من ترجمته في: تاريخ بغداد, 98/5, والزِّركليُّ (1973م), خير الدِّين, الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرِّجال والنِّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين), دار العلم للملايين, بيروت, ط15, 2002م, 106/1 ـ 107.

[2] ديوانه, 1071/2 ـ 1072.

خِلْنَـا الجِبَـالَ تَسِـيْرُ فِيْـهِ وَقَـدْ غَـدَتْ عُـدَداً يَسِـيْرُ بِهَـا العَدِيْـدُ الأَكْثَـرُ
فَالخَيْـلُ تَصْـهَلُ, وَالفَـوَارِسُ تَـدَّعِي وَالبِـيْضُ تَلْمَـعُ, وَالأَسِـنَّةُ تَزْهَـرُ
وَالشَّـمْسُ مَاتِعَـةٌ تَوَقَّـدُ فِـيْ الضُّـحَى طَـوْرَاً, وَيُطْفِئُهَـا العَجَـاجُ الأَكْـدَرُ
حَتَّـى طَلَعْـتَ بِضَـوْءِ وَجْهِـكَ فَـانْجَلَى ذَاكَ الـدُّجَى, وَانْجَـابَ ذَاكَ العِثْيَـرُ

إنَّ القارئ للأبيات يخيَّل إليه أنَّ المقام مقام حرب, فالألفاظ المستعملة لها صلة بالمعجم الحربيّ (جحفل, الخيل, الفوارس, البِيض, الأسنَّة, العجاج), فيصف خروج الخليفة بمشهد مهيب يشبه الحرب, وهذا إن دلَّ على شيء يدلُّ على قوَّة الخليفة وسيطرته الفعليَّة على الأمور, بينما لا نجد مثل هذه الألفاظ الجزلة في فترة الضَّعف, إذ وصف الشُّعراء خروج الخليفة يوم العيد ولكن بمعانٍ بسيطة لا تنمُّ على تمتُّعه بالقوَّة, فلم يعد لهم من الأمور الَّتي يمدحون بها الخليفة سوى التَّهنئة بالعيد[1] أو بالزَّفاف[2] أو بمولود جديد[3], هذا إن وجدنا مدحاً للخلفاء في هذا الوقت يضاهي شعر زمن القوَّة, فقد ذُكِرَ الخليفة عند عدد قليل من شعراء تلك المرحلة, ومَنْ ذكر الخليفة ذكره في مقطوعات قصيرة ومعانٍ بسيطة مكرَّرة, وسبب ذلك يعود إلى ضعف مكانة الخليفة وسيطرة الأتراك عليه, وهذا ما أكَّده رائد تلك المرحلة ابن الرُّوميّ[4] حين وضع الأتراك في صورة جليلة كأنَّهم حكَّام ذلك العصر, يقول في الأتراك[5]: (الطويل)

تَـرَى شِـبْهَ الآسَـادِ فِـيْهِمْ مُبَيَّنَـاً وَلَكِـنَّهُمْ أَدْهَـى دَهَـاءً وَأَنْكَـرُ
وُجُـوْهُهُمْ عِنْـدَ اللِّقَـاءِ وُجُوْهُهَـا وَأَلْحَـاظُهُمْ أَلْحَاظُهَـا حِـيْنَ تَنْظُـرُ

---

[1] ابن الرُّوميّ (283هـ), ديوانه, أحمد حسن بسج, دار الكتب العلميَّة, بيروت, ط3, 1423هـ, 2002م, 386/3.

[2] المصدر السَّابق, 199/2, 249/3.

[3] المصدر السَّابق, 236/1.

[4] ابن الرُّومي: أبو الحسن عليُّ بن العبَّاس بن جريح, وقيل جورجيس, من الشُّعراء الفحول المطوّلين الغوَّاصين على المعاني, ولد ببغداد سنة 221هـ, وتوفي سنة 283هـ, وقيل 284هـ, وقيل 276هـ. من ترجمته في: وفيات الأعيان, 358/3-362, والوافي بالوفيات, 114/21 ـ 124.

[5] ديوانه, 58/2.

هُـــمُ هِـــيَ, لَـــوْلَا إِرْبُهُـــمْ وَحُلُـــوْمُهُمْ ... لَهُـــمْ مَنْظَـــرٌ مِنْهَـــا مَهِيْـــبٌ وَمَخْبَـــرُ
هِـــيَ القُـــوَّةُ الحَـــقُّ المُسَـــمَّاةُ قُـــوَّةً ... بِتَسْـــمِيَةِ القُـــرْآنِ فِيْمَـــا يُفَسَّـــرُ
فَـــإِنْ كُنْـــتَ مِـــنْهُمْ جَـــاهِلاً أَوْ مُغَمَّـــرَاً ... وَهَـــلْ مِـــنْ نَثَـــاهُمْ جَاهِـــلٌ مُغَمَّـــرُ؟
فَسَـــائِلْ بِهِـــمْ أَعْـــدَاءَهُمْ أَوْ دِيَـــارَهُمْ ... تُخَبِّـــرْكَ إِنْ لَـــمْ يَبْـــقَ مِـــنْهُمْ مُخْبِّـــرُ

وكان لصورة الخليفة الدِّينيَّة ارتباط وثيق بالنَّسب, ولا سيَّما أنَّ نسب بني العبَّاس ينتهي إلى عمِّ النَّبيّ ﷺ, إضافة إلى تفاخر العرب بنسبهم فيما بينهم منذ العصر الجاهلي, فعراقة النَّسب من القيم الَّتي كانت مدعاة فخر العرب في ماضيهم وحاضرهم, إذ لا نكاد نعرف أمَّة من الأمم عنيت بأنسابها كعناية الأمَّة العربيَّة بها, لكونها جزءاً من اعتبارها القبلي وأصالتها الَّتي تعتزُّ بها[1], فكيف إذا كان هذا النَّسب ينتهي إلى أشرف الخلق ﷺ, فقد مدح عليُّ بن الجهم[2] الخليفة المتوكِّل مشيراً إلى نسبه, فقال[3]: (الخفيف)

صَـــفْوَةُ اللهِ وَابْـــنُ عَـــمِّ نَبِـــيِّ اللـــ ... ـــهِ وَابْـــنُ المَهْـــدِيِّ وَابْـــنُ الرَّشِـــيْدِ
يَـــا بَنِـــي هَاشِـــمِ بْـــنِ عَبْـــدِ مَنَـــافٍ ... نِسْـــبَةٌ حُبُّهَـــا مِـــنَ التَّوْحِيْـــدِ

ويقول البحتريُّ في المتوكِّل[4]: (مجزوء الكامل)

قُـــلْ لِلْخَلِيْفَـــةِ جَعْفَـــرٍ: ... أَعْيَـــا الرِّجَـــالَ مَكَـــانُ نِـــدِّكْ
أَيُّ امْـــرِئٍ يَسْـــمُو سُـــمُوَّ ... كَ, أَوْ يَجِـــيْءُ بِمِثْـــلِ مَجْـــدِكْ
وَعُـــلَا قُصَـــيّكَ أَوْ قُرَيْـــ ... ـــشِـــكَ, أَوْ نِـــزَارِكَ أَوْ مَعَـــدِّكْ[1]

---

[1] محمَّد, سالمة جاسم, البطولة في الشِّعر العربيّ في عصر الحروب الصَّليبيَّة, مجلَّة التَّربية والعلم, مج13, ع2, 2006م, ص103.

[2] عليُّ بن الجهم: أبو الحسن عليُّ بن الجهم بن بدر بن غالب القرشيُّ, شاعرٌ مطبوع عذب الألفاظ, سهل الكلام, مقتدرٌ على الشِّعر, مدح الخليفة المعتصم والواثق وجالس المتوكِّل, مات سنة 249هـ بناحية حلب. من ترجمته في: المَرْزُبانيُّ (384هـ), أبو عبيد الله محمَّد بن عمران بن موسى, معجم الشُّعراء, تحقيق: د. فاروق اسليم, دار صادر, بيروت, 1425هـ - 2005م, ص178 - 179, ووفيات الأعيان, 355/3 - 358.

[3] ابن الجهم (249هـ), عليّ, ديوانه, تحقيق: خليل مردم بك, دار الآفاق الجديدة, ط2, بيروت, 1400هـ, 1980م, ص34.

[4] ديوانه, 705/2.

أَحْـــــــرَزْتَ مِيْـــــــرَاثَ الرَّسُـــــــوْ لِ, بسُـــــــهْمَةِ العَبَّـــــــاسِ جَـــــــدِّكْ[2]

ويقول البحتريُّ أيضاً في المعتزِّ بالله[3]: (الخفيف)

وَارِثُ البُـــرْدِ وَالقَضِـــيْبِ وَحَكَـــمُ الـــ ـــــهِ فِـــيْ كُـــلِّ سَـــيِّدٍ وَمَسُـــوْدِ
طَـــابَ نَفْسَـــاً وَأُمَّهَـــاتٍ وَآبَـــا ءً, وَأَرْبَـــى فَضِـــيْلَةً فِـــيْ الجُـــدُوْدِ
فِـــيْ المَحَـــلِّ الجَلِيْـــلِ مِـــنْ سَـــلَفَى عَبْـــ ـــــدِ مَنَـــافٍ وَالسُّـــؤْدُدِ المَرْفُـــوْدِ

يُلْحَظُ ممَّا سبق أنَّ ذكر النَّسب عند الخلفاء الأقوياء كان متمِّماً لأعمالهم, أمَّا ذكره في سياق مدح خلفاء مرحلة الضَّعف فكان أصل ما يُمْدَحُ الخليفة به, ولعلَّ خير ما يمثِّل هذا الكلام شعر البحتريّ؛ إذ عاصر خلفاء الزَّمنين, فكانت مدائحه مختلفة كمَّاً وكيفاً, وهذا ما أكَّده أنيس المقدسيّ بالإحصائيَّات الَّتي قدَّمها لقصائد المدح في شعره, فكان نصيب المتوكِّل من مدائحه خمساً وثلاثين قصيدة, والمعتزِّ بالله ثلاثين قصيدةً, والمعتمد خمسَ قصائد, والمهتدي أربعَ قصائد, والمستعين أربعَ قصائد أيضاً[4].

ويمكننا القول: إنَّ صورة الخليفة الدِّينيَّة لدى شعراء القرن الثَّالث الهجريّ جاءت تقليديَّة لا تختلف عن الصُّورة الَّتي رسمها الشُّعراءُ السَّابقين, فقد تمثَّل الشُّعراء هذه الصُّورة في أذهانهم, وأسبغوها على مَنْ يريدون من الخلفاء, فبمجرد استلام الخليفة منصبه كانت الصِّفات الدِّينيَّة جاهزة لتُسْبَغَ عليه وإن لم يكن يستحقُّ ذلك المدح, ولم يتمتَّعْ بما يوجبه, فالشعراء "لا يمدحونه من حيث هو, وإنَّما يمدحونه خليفةً للمسلمين وموضع آمالهم, وكأنَّما يريدون أن يرفعوا أمام عينه الشِّعارات الَّتي تطلبها الأمَّة في خليفتها وراعيها"[5].

---

[1] قصيٌّ, وقريش, ونزار, ومَعَدٌّ أجدادُ بني العبَّاس.

[2] كان العبَّاس الجدُّ الأكبر للعبَّاسيِّين أخاً لعبد الله أبي رسول الله ﷺ.

[3] ديوانه, 729/1.

[4] يُنْظَرُ في: المقدسيُّ, أنيس, أمراء الشِّعر العربيّ في العصر العبَّاسيّ, دار العلم للملايين, بيروت, ط17, 1989م, ص239.

[5] ضيف, شوقي, العصر العبَّاسيُّ الأوَّل, دار المعارف, مصر, ط16, 2004, ص161.

ومن خلال ما سبق نرى أنَّ الشُّعراء استطاعوا رسم صورة دينيَّة موحَّدة للخلفاء, ولكن هل نجحوا في تصوير سياستهم وصفاتهم الَّتي تميز خليفة من آخر؟ هذا ما سيبيّنه البحث من خلال عرض القيم الَّتي تمتَّع بها الخلفاء, والسِّياسة الَّتي اتَّبعوها.

صورة الخليفة السِّياسيَّة:

جاء التَّعبير عن صفات البطل الخليفة ضمن المديح, وتحدَّث النُّقَّاد القدماء عن مقاصد المديح, وجعلوها في أربع خصال: العقل والشَّجاعة والعدل والعفَّة, فالمادح بهذه الأربعة مصيب, وبما سواها مخطئ[1], وعن هذه الأربعة تفرَّع كثير من الصِّفات الَّتي مدح بها الشُّعراءُ الخلفاءَ, ومن هذه الصِّفات الَّتي كثُرَتْ في أشعارهم, وعليها تقوم سياسة الخليفة صفة الكرم, فقد عُنِيَ الخلفاء بالشِّعر, فأنشؤوا لذلك مجالس لتقريب الشُّعراء منهم, فتسابق الشُّعراء إلى بلاطهم من أجل كسب المال أوَّلاً, ولنيل مكانة عالية عندهم تليق بهم من ناحية أخرى, " وبذلك سرى في القصر العبَّاسيِّ ذوق محافظ كان له أثره في الشُّعراء, إذ كانوا يمثلون بين أيدي الخلفاء مادحين لهم... فكان لا بدَّ للشُّعراء أن يروقوهم حتَّى ينالوا استحسانهم, ويرى ذلك الخلفاء منهم فيجزلوا لهم في العطاء"[2].

وقد ورد في كتب التَّاريخ والأدب العديد من القصص الَّتي تدلُّ على إجزال العطايا من قبل الخلفاء, وعبَّر الشُّعراء عن ذلك, ومنهم محمَّد بن حازم الباهليُّ الَّذي يقول مادحاً المأمون[3]: (السَّريع)

---

[1] القيروانيُّ (456هـ), ابن رشيق, أبو عليٍّ الحسن, العمدة في محاسن الشِّعر وآدابه ونقده, تحقيق: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد, دار الجيل, ط5, 1401هـ - 1981م, 128/2.

[2] العصر العبَّاسيُّ الأوَّل, ص139.

[3] المأمون: أمير المؤمنين المأمون عبد الله بن هارون الرَّشيد بن المهديّ بن المنصور, دُعِيَ له بالخلافة بخراسان في حياة أخيه الأمين سنة 198هـ, ثمَّ قدم بغداد بعد قتله, كان من رجال بني العبَّاس حزماً وعزماً وعلماً وحلماً ودهاءً وشجاعةً وسماحةً, أوصى بالخلافة من بعده للمعتصم, ولد سنة 170هـ, وتوفِّي سنة 218هـ. من ترجمته في: تاريخ بغداد, 430/11 - 442, والوافي بالوفيات, 349/17 - 353.

أَنْـــتَ سَـــمَاءٌ وَيَـــدِيْ أَرْضُـــهَا وَالأَرْضُ قَـــدْ تَأْمَـــلُ غَيْـــثَ السَّـــمَا

فَـــازْرَعْ يَـــدَاً عِنْـــدِيَ مَحْمُـــوْدَةً تَحْصُـدْ بِهَـا فِـي النَّـاسِ حُسْـنَ الثَّنَـا

فلمَّا انتهى من مدحه " استحسن المأمون ذلك منه, وأعطاه عشرة آلاف درهم "[1].

إنَّ مبالغة الخلفاء في العطايا أدَّى إلى مبالغة الشُّعراء في المدح, وربَّما أكثرَ الشُّعراء من مدح الخلفاء بصفة الكرم على وجه التَّحديد للاستزادة من عطاياهم, " فلمَّا فشت أسباب التَّكسُّب بين الشُّعراء في القرن الثَّالث, وبطلت العصبيَّةُ الَّتي كانت تجعل للشِّعر معنىً سياسيَّاً اتَّخذوه حرفةً يكدحون بها, وجعلُوه ممَّا يُتَذرَّعُ به إلى أسباب العيش, من جائزة خليفة أو منادمة أمير أو ما دون ذلك من الأسباب أيَّها كان"[2], وبذلك ارتبطت صفة الكرم بالخليفة القويّ المسيطر على الحكم, الَّذي يقترب الشَّاعر منه, ويعطيه أكثر ممَّا يستحقُّ على ما يمدحه, ومن ذلك قول عليّ بن الجهم يمدح المتوكِّل[3]: (مخلَّع البسيط)

بِسُـــرَّ مَـــنْ رَا إِمَـــامُ عَـــدْلٍ تَغْـــرِفُ مِـــنْ بَحْـــرِهِ البِحَـــارُ

يَـــدَاهُ فِـــي الجُـــوْدِ ضَـــرَّتَانِ عَلَيْـــهِ كِلْتَاهُمَـــا تَغَـــارُ

لَـــمْ تَـــأْتِ مِنْـــهُ اليَمِـــيْنُ شَـــيْئَاً إِلَّا أَتَـــتْ مِثْلَـــهُ اليَسَـــارُ

بالغ الشَّاعر بوصف كرم الخليفة عندما جعل البحر يغرف منه, فعادةً يُشبَّهُ الكريم بالبحر, بينما كرم المتوكِّل أكبر من البحر وأعظم, ثمَّ جعل اليدين ضَرَّتين تغاران من بعضهما, فتجود إحداهما بما جادت به الأخرى, وهذه المبالغةُ كلُّها كما نرى كانت بفضل التَّشبيه الَّذي وظَّفه الشَّاعر ليحصلَ له المرادُ من مدحه " فالتَّشبيه قادر على إثبات المعنى وتأكيده وتوضيحه عن

[1] ابن حازم الباهليُّ (215هـ), محمَّد, ديوانه, محمَّد خير البقاعيّ, دار قتيبة, دمشق, د.ط, 1402هـ - 1982م, ص22.

[2] الرَّافعيّ, مصطفى صادق, تاريخ آداب العرب, دار الكتاب العربيّ, بيروت, ط4, 1394هـ ـ 1974م, 34/1.

[3] ديوانه, ص136.

طريق عقد المقارنة بين حالتين سواء كان وجه الشَّبه عقليّاً أو حسّيّاً ومن ثَمَّ المبالغة في المعنى كما أشار عبد القاهر نفسُهُ عندما يُعْكَسُ التَّشبيه "[1].

وشبيهٌ بذلك مدحُ البحتريّ للخليفة المعتزّ بالله, وقد اعتمد الصُّور الفنّيَّة نفسها للدَّلالة على كرم الخليفة من تشبيهه بالبحر أو المبالغة فيه بجعله تشبيهاً مقلوباً غير أنَّ البحتريَّ فيما يأتي شبَّهه بالنِّيل الَّذي هو أعظم الأنهار[2]: (مجزوء الكامل)

لِيَـــــدُمْ لَنَـــــا المُعْتَـــــزُّ فَهْـــــ ـــــوَ إِمَامُنَـــــا المَرْجُـــــوُّ رِفْـــــدُهْ

مُتَـــــــــــدَفِّقٌ بِعَطَائِـــــــــــهِ كَالنِّيْـــــلِ لَمَّـــــا جَـــــاشَ مَـــــدُّهْ

لَا العَـــــذْلُ يَرْدَعُـــــهُ وَلَا الثَّـــــ تَعْنِيْـــــفُ عَـــــنْ كَـــــرَمٍ يَصُـــــدُّهْ

كَثُـــــرَ الَّـــــذِي نِلْنَـــــاهُ مِـــــنْ نُعْمَـــــاكَ حَتَّـــــى مَـــــا نَحُـــــدُّهْ

من المعروف أنَّ البحتريَّ كان شاعر البلاط, يتكسَّب بالشِّعر مقلّداً بذلك أستاذه أبا تمَّام, وقد قال ابن رشيق: "وكان البحتريُّ مَلِيَّاً قد فاض كَسْبُهُ من الشِّعر, وكان يركب في موكبٍ من عبيده"[3], والسَّبب في ذلك أنَّ البحتريَّ وجد البيئة المناسبة, واستطاع استغلالها, بينما شعراء زمن الضَّعف لم يجدوا ما رام إليه أبو تمَّام والبحتريُّ وغيرهم, فابنُ الرُّوميّ لم يستطع التَّكسُّب بالشِّعر على الرُّغم من تفوُّقه في صنعته, وعلى الرُّغم من قيمة شعره الفنّيَّة, ولعلَّ السَّبب في ذلك "أنَّه لم يُدْرِكْ منهم غير المستضعفين كالمستعين والمعتزّ والمهتدي والمعتمد, وكلُّهم خُلِعَ أو قُتِلَ أو حَكَمَ وليس له من الأمر شيءٌ"[4].

---

[1] دهمان, د. أحمد عليّ, الصُّورة البلاغيَّة عند عبد القاهر الجرجانيّ منهجاً وتطبيقاً, منشورات وزارة الثَّقافة, دمشق, ط2, 2000م, ص283.

[2] ديوانه, 614/1 - 615.

[3] العمدة في محاسن الشِّعر وآدابه ونقده, 185/2.

[4] أمراء الشِّعر العربيّ, ص285.

ومن صور البطولة الَّتي امتدح بها الشُّعراءُ الخلفاءَ صورة الخليفة في الحرب, إذ كانوا يصفون الفتوحات الَّتي حصلت في عهدهم, وينسبونها إليهم, ويتحدَّثون عن الحركات الَّتي قامت في عصرهم وقُضِيَ عليها بفضلهم, فالخليفة بنظرهم هو البطل الكلّيُّ الَّذي يتَّسم بأنَّه يحوي سائر صفات البطولة في نفسه, فهو يمسك بزمام الأمور جميعها لما يتمتَّع به من بطولة جامعة جعلته بطلاً في سائر الأبواب البطوليَّة الَّتي يباشر أبطاله السَّعي فيها[1].

ومن صور البطولة الحربيَّة أن يظهر الخليفة بهيئة الشُّجاع المتأهِّب دائماً للقتال, وهذا ما نجده عند عليّ بن الجهم حين وصف شجاعة الواثق[2]: (مجزوء الرَّمل)

مَلِـــــكٌ تَفْـــــزَعُ مِـــــنْ صَـــــوْ لَتِـــــــهِ الحَـــــــزْبُ الضَّـــــــرُوْسُ

أَنِـــــسَ السَّـــــيْفُ بِـــــهِ وَاسْـــــ تَـــــــوْحَشَ العِلْـــــــقُ النَّفِـــــــيْسُ

يؤكِّد الشَّاعر شجاعة الخليفة المبالغ فيها من خلال علاقته بالسَّيف, فالسَّيف أَنِسَ به وتعلَّق لمداومته الحروب, ووصلت به الحال إلى أنَّ تلك الحرب الضَّروس هي الَّتي تخاف مواجهته, مستعملاً الفعل (تفزع) لما يحوي من دلالات على خوف تلك الحرب منه فليست أي حرب إنَّما حرب ضروس.

[1] المرامحيّ, قابل رشيد نافع, صورة البطل في شعر أبي تمَّام, رسالة ماجستير, جامعة أمّ القرى, 1435هـ, ص107.

[2] ديوانه, ص13.

ومن الأخبار التي تدلُّ على شجاعة الخليفة وحسن تدبير أمور الحرب الدَّاخليَّة والخارجيَّة خبر الخليفة المعتصم, إذ قُضِيَ في عهده على فتنة الزُّطِّ[1] وفتنة بابك الخُرَّميّ[2], وهذا ما ذكره ابن الزَّيَّات بقوله[3]: (الكامل)

إِنَّ الخَلِيْفَـــةَ رَحْمَـــةٌ مِـــنْ رَبِّنَـــا وَبِـــهِ أَنَـــارَ لَنَـــا وَأَوْضَـــحَ دِيْنَـــهُ

وَالـــزُّطُّ أَيُّ خَلِيْفَـــةٍ دَانُـــوا لَـــهُ أَوْ كَـــانَ قَبْلَـــكَ طَاعَـــةً يُعْطُوْنَـــهُ

حَتَّـــى مَلَكْـــتَ وَظَـــلَّ سَـــيْفُكَ مِـــنْهُمُ تَكْسُـــو الـــدِّمَاءُ شِـــفَارَهُ وَقُتُوْنَـــهُ

وَسَـــقَيْتَ بَابَـــكَ كَـــأْسَ حَتْـــفٍ مُـــرَّةً بِفَـــوَارِسٍ سَـــحَبُوا القَنَـــا يَتْلُوْنَـــهُ

يؤكِّد الشَّاعر دور الخليفة الرَّئيس والمركزيَّ في الحرب, إذ وحَّد السُّيوف جميعها وجعلها في قبضته, والفوارس كلُّها له, فيكاد القارئ للأبيات يتحسَّس قوَّة الخليفة ببطشه بالزُّطِّ الَّذين تمكَّن السَّيف منهم, فقد غدت صورة السَّيف مرعبة (تكسو الدِّماء شفاره), وببابك الَّذي عجز الخلفاء قبل المعتصم عن القضاء عليه.

أمَّا من ناحية الحروب الخارجيَّة فنستطيع القول: إنَّ فتح عمُّوريَّة في عهد المعتصم, حدث جلل أرَّخت له العديد من كتب التَّاريخ, وسطَّر أحداثه الكثير من الشُّعراء, ولا نبالغ إذا قلنا

[1] وجَّه المعتصم سنة 219هـ عجيف بن عنبسة لحرب الزُّطِّ الَّذين عاثوا في طريق البصرة فقطعوا فيه الطَّريق, وأخافوا السَّبيل, فلمَّا أخذ عليهم طرقهم حاربهم, وأسر منهم خمسمئة رجل, وقتل في المعركة ثلاثمئة رجل, فضرب أعناق الأسرى وبعث برؤوس جميعهم إلى باب المعتصم. تاريخ الطَّبري, 8/9 ـ 9.

[2] ذكر أنَّ ظهور بابك كان في سنة 201هـ, وقد هزم جيوش السُّلطان, فلمَّا وصل الأمر إلى المعتصم أرسل الأفشين لقتاله, فجاء به أسيراً إلى سامرَّاء. تاريخ الطَّبريّ, 23/9 ـ 55.

[3] ديوانه, ص87.

إنَّ أبا تمَّامٍ[1] خير من سجَّل تلك الوقعة التَّاريخيَّة المهمَّة في قصيدته المشهورة الَّتي ابتدأها من دون مقدِّمة على عادة الشُّعراء, وذلك ليناسب مقام الحرب, يقول[2]: (البسيط)

السَّـــيْفُ أَصْـــدَقُ أَنْبَـــاءً مِـــنَ الكُتُـــبِ فِـــيْ حَـــدِّهِ الحَـــدُّ بَـــيْنَ الجِـــدِّ وَاللَّعِـــبِ

بِـيْضُ الصَّـفَائِحِ لَا سُـوْدُ الصَّـحَائِفِ فِـي مُتُـــوْنِهِنَّ جَـــلَاءُ الشَّـــكِّ وَالرِّيَـــبِ

فَـــتْحُ الفُتُـــوْحِ تَعَـــالَى أَنْ يُحِـــيْطَ بِـــهِ نَظْـمٌ مِـنَ الشِّـعْرِ أَوْ نَثْـرٌ مِـنَ الخُطَـبِ

فَـــتْحٌ تَفَـــتَّحُ أَبْـــوَابُ السَّـــمَاءِ لَـــهُ وَتَبْـــرُزُ الأَرْضُ فِـــيْ أَثْوَابِهَـــا القُشُـــبِ

يَـــا يَـــوْمَ وَقْعَـــةِ عَمُّوْرِيَّـــةَ انْصَـــرَفَتْ مِنْـــكَ المُنَـــى حُفَّـــلاً مَعْسُـــوْلَةَ الحَلَـــبِ

تَـــــدْبِيْرُ مُعْتَصِـــــمٍ بِـــــاللهِ مُنْـــــتَقِمٍ للهِ مُرْتَقِـــــبٍ فِـــــي اللهِ مُرْتَغِـــــبِ

خَلِيْفَـــةَ اللهِ جَـــازَى اللهُ سَـــعْيَكَ عَـــنْ جُرْثُوْمَـــةِ الـــدِّيْنِ وَالإِسْـــلَامِ وَالحَسَـــبِ

تقع القصيدة في واحد وسبعين بيتاً, يصوّر الشَّاعر فيها أحداث الحرب بدقَّة كأنَّها متجلّية أمامنا, وقد بدأ الشَّاعر قصيدته بتكذيب المنجّمين الَّذين تنبَّؤوا بعدم قدرة المعتصم على فتح عمُّوريَّة[3], فكانت قوَّة المعتصم مرموزاً لها بالسَّيف الَّذي جاء أقوى من جميع توقُّعاتهم وأوهامهم, وهنا مزج الشَّاعر بين مدح الخليفة وتصوير أحداث الحرب, وقد طغى وصف الحدث على مدح الخليفة, فوصف هذا الإنجاز العظيم هو مدح للخليفة بحدِّ ذاته طالما أنَّه

[1] أبو تمَّام: حبيب بن أوس الطَّائيُّ, كان أوحد عصره في ديباجة لفظه وصناعة شعره, مدح الخلفاء وأخذ جوائزهم وجاب البلاد, توفّي في الموصل سنة 231هـ, وقيل سنة 228هـ, وقيل 229هـ, وقيل 232هـ. من ترجمته في: وفيات الأعيان, 11/2 ـ 26, والوافي بالوفيات, 225/11 ـ 230.

[2] التِّبريزيُّ (502هـ), الخطيب, شرح ديوان أبي تمَّام (231هـ), راجي الأسمر, دار الكتاب العربيّ, ط2, 1414هـ ـ 1994م, 32/1 ـ 49.

[3] تنظر مناسبة القصيدة في الدِّيوان, 32/1, حاشية1.

حدث في عهده, وقد سار الشُّعراء على هذا النَّهج من تصوير الحروب أو التَّجهيز لها ونسبها إلى الخليفة الحاكم, قال البحتريُّ في المعتزِّ بالله[1]: (مجزوء الكامل)

جَـــــــــيْشٌ يُجَهِّـــــــــزُهُ لِأَرْ ضِ الكُفْـــــرِ أَوْ ثَغْـــــرٌ يَسُـــــدُّهْ

لَقِيَـــــتْ عَظِـــــيْمَ الـــــرُّوْمِ مِنْـــــ ـــــكَ عَزِيْمَـــــةٌ فَـــــانْفَضَّ جُنْـــــدُهْ

وَتَطَاوَحَتْـــــــــــهُ كَتَائِـــــــــــبٌ عُجُـــــلٌ تُسَـــــائِلُ: أَيْـــــنَ قَصْـــــدُهْ؟

فَانْصَـــــــاعَ يَطْلُـــــبُ ظِلَّـــــــهُ وَالخَيْـــــــلُ غَادِيَـــــــةٌ تَكُـــــــدُّهْ

يصف الشَّاعر الجيش الَّذي جهَّزه الخليفة لمواجهة الرُّوم, ونرى أنَّ هذا الجيش من صنع خيال الشَّاعر, وقد مدح الخليفة به من دون الاستناد إلى وقائع حقيقيَّة, فالحرب مجهولة الطرفين, مجهولة الموقع, مجهولة العُدَّة والعتاد, وهذا يدلُّ على مركزيَّة مدح الخليفة بالصِّفات العسكريَّة, سواءً أكان الشَّاعر صادقاً أم كاذباً.

ومن الخلفاء الذين تميَّز عهدهم بالقضاء على الثَّورات الخليفة المعتضد[2], فقد قضى على ثورة الزَّنج, واستطاع أن يعيد إلى الخلافة الإسلامية هيبتها بعد أن فقدتها منذ مقتل المتوكِّل والاستهانة بالخلفاء من بعده, وحاول توطيد الأمن وتحقيق العديد من الإنجازات, ولكنَّ ذلك لم يطل إذ عادت الأمور إلى سابق عهدها بوفاة المعتضد وتولِّي المكتفي من بعده, وفي أرجوزة يمدح فيها الشَّاعر ابن المعتزِّ[3] الخليفة المعتضد بالله يسرد الأحوال الَّتي كانت سائدة في ذلك

[1] ديوانه, 615/1.

[2] هو أمير المؤمنين أبو العبَّاس المعتضد بالله أحمد بن طلحة بن جعفر, وُلِدَ سنة 242هـ , ولي الخلافة بعد عمِّه المعتمد, وكان شجاعاً مهيباً وافرَ العقل, ولي حربَ الزَّنج وظفِرَ بهم, وفي أيَّامه سكنت الفتن لفرط هيبته, وكان يُسمَّى السَّفَّاح الثَّاني لأنَّه جدَّد ملك بني العبَّاس, تُوفِّي سنة 289هـ . من ترجمته في: تاريخ بغداد, 79/6, والوافي بالوَفَيَات, 264/6.

[3] هو أبو العبَّاس عبد الله بن محمَّد المعتز بالله, وُلِدَ سنة 249هـ , شاعر مبدع, أُولِعَ بالأدب, وله من الكتب كتاب البديع, وطبقات الشُّعراء, ولي الخلافة يوماً وليلة, قُتِلَ سرَّاً سنة 296هـ. من ترجمته في: تاريخ بغداد, 302/11, والوافي بالوَفَيَات, 240/17.

الوقت, وأسماء مَنْ كانوا يتلاعبون بالخلافة إلى أن جاء الخليفة المعتضد وخلَّصهم من تلك الأحوال معيداً للخلافة هيبتها, يقول[1]: (الرَّجز)

هَـــذَا كِتَـــابُ سِـــيَرِ الإِمَـــامِ مُهَـــذَّباً مِـــنْ جَـــوْهَرِ الكَـــلَامِ
أَعْنِـــي أَبَـــا العَبَّـــاسِ خَيْـــرَ الخَلْـــقِ لِلْمُلْـــكِ قَـــوْلٌ عَـــالِمٌ بِـــالحَقِّ
قَـــامَ بِـــأَمْرِ المُلْـــكِ لَمَّـــا ضَـــاعَا وَكَـــانَ نَهْبَـــاً فِـــي الـــوَرَى مُشَـــاعَا

ثمَّ يبدأ الشاعر بتصوير الأوضاع الَّتي وصلت بالضَّرر إلى الرَّعيَّة بسبب خليفة مقتول أو مخلوع, وقائد مسيطر ووزير متحكِّم, يقول:

وَكُـــلَّ يَـــوْمٍ مَلِـــكٌ مَقْتُـــوْلُ أَوْ خَـــائِفٌ مُـــرَوَّعٌ ذَلِيْـــلُ
وَكَـــمْ أَمِيـــرٍ كَـــانَ رَأْسَ جَـــيْشِ قَـــدْ نَغَّصُـــوا عَلَيْـــهِ كُـــلَّ عَـــيْشِ
وَكُـــلَّ يَـــوْمٍ شَـــغَبٌ وَغَصْـــبُ وَأَنْفُـــسٌ مَقْتُوْلَـــةٌ وَحَـــرْبُ
وَكَـــمْ فَتَـــىً قَـــدْ رَاحَ نَهْبَـــاً رَاكِبَـــا إِمَّـــا جَلِـــيْسَ مُلْـــكٍ أَوْ كَاتِبَـــا
وَكَـــمْ فَتَـــاةٍ خَرَجَـــتْ مِـــنْ مَنْـــزِلِ فَغَصَـــبُوْهَا نَفْسَـــهَا فِـــيْ المَحْفَـــلِ
كَـــذَلِكَ حَتَّـــى أَفْقَـــرُوا الخِلَافَـــه وَعَوَّدُوْهَـــا الرُّعْـــبَ وَالمَخَافَـــه

ويسترسل الشَّاعر بأبيات يصف فيها بالتَّفصيل الأحداث القاهرة الَّتي أرعبت النَّاس ونغَّصت عيشهم إلى أن جاء المعتضد الخليفة البطل ليخلِّصهم من أحوالهم المنكوبة ويبدِّل عيشهم رغداً, يقول:

وَلَـــمْ يَـــزَلْ ذَلِـــكَ دَأْبَ النَّـــاس حَتَّـــى أُغِيْثُـــوا بِـــأَبِى العَبَّـــاس
السَّـــاهِرِ العَـــزْمِ إِذِ العَـــزْمُ رَقَـــدْ الحَاسِـــمِ الـــدَّاءِ إِذَا الـــدَّاءُ وَرَدْ
فَجَمَـــعَ الـــرَّأْيَ الَّـــذِيْ تَفَرَّقَـــا وَأَبْـــرَأَ الـــدَّاءَ الَّـــذِى أَعْيَـــا الرُّقَـــى
كَـــانَ لَنَـــا كَأَزْدَشِـــيْرِ فَـــارِسِ إِذْ جَـــدَّ فِـــيْ تَجْدِيْـــدِ مُلْـــكٍ دَارِسِ
قَـــدْ جَـــرَّبَ الحُـــرُوْبَ حَتَّـــى شَـــابَا فَـــإِنْ دَعَـــاهُ حَـــادِثٌ أَجَابَـــا

[1] ابن المعتزّ, عبد الله بن محمَّد, ديوانه, دار صادر, بيروت, د.ط, د.تا, الأرجوزة كاملة من ص481 إلى ص505.

لَا عَـــــاجِزَ الـــــرَّأْيِ وَلَا بَلِيْـــــدَا لَكِـــنْ شُـــجَاعَاً يَخْضِـــبُ الحَدِيْـــدَا

وَحَـــارَبَ الصَّـــفَّارَ بَعْـــدَ الـــزَّنْجِ فَطَـــارَ, إِلَّا أَنَّـــهُ فِـــيْ سَـــرْجِ

ومن صور البطولة الَّتي تحلَّى بها الخليفة العدل, فالعدل يعدُّ من أهمِّ الصِّفات الَّتي يجب على الخليفة التَّحلِّي بها, فمن خلال العدل تسود المساواة بين الرَّعيَّة, وتُعَادُ الحقوق إلى أصحابها, فإذا اتَّكأت صورة البطل على العدل وصلنا إلى شخصيَّة البطل المثلى الَّذي يستطيع لمَّ شمل المسلمين, وتوحيد جهودهم, وإزالة ما بينهم من شحناء وبغضاء[1], إنَّ صفة العدل من الصِّفات الَّتي عمد معظم شعراء القرن الثَّالث إلى ذكرها, فهي من الصِّفات الثَّابتة الَّتي تغنَّى بها الشُّعراء في مدح ممدوحيهم منذ العصر الجاهليّ, ومن ذلك مدح عليّ بن الجهم للخليفة الواثق[2]: (السَّريع)

قَـــدْ فَـــازَ ذُو الـــدُّنْيَا وَذُوْ الـــدِّيْنِ بِدَوْلَـــــةِ الوَاثِـــــقِ هَـــــارُوْنِ

أَفَـــاضَ مِـــنْ عَـــدْلٍ وَمِـــنْ نَائِـــلٍ مَـــا أَحْسَـــنَ الـــدُّنْيَا مَـــعَ الـــدِّيْنِ

ومدح ابنِ الرُّوميّ الخليفة المعتضد[3]: (الكامل)

يَـــا طَالِبَـــاً عِنْـــدَ الإِمَـــامِ هَـــوَادَةً مَهْـــلَاً, وَحَسْـــبُكَ مُنْـــذِرَاً شَشْـــدَاءُ

حَكَـــمَ الإِمَـــامُ عَلَيْـــهِ حُكْمَـــاً فَيْصَـــلَاً مَـــرَّ السِّـــرَاطِ, فَلَـــيْسَ فِيْـــهِ عَـــدَاءُ

يَـــأْبَى مُحَابَـــاةَ الأَحِبَّـــةِ عَدْلُـــهُ فَـــأَخُوْهُ فِيْـــهِ وَالغَرِيْـــبُ سَـــوَاءُ

كان ششدا قائداً من قوَّاد المعتضد قد أنكر على غلام له أمراً فرماه بحربة فقتله, ولمَّا بلغ المعتضدَ ذاك الأمرُ أمر أن يقاد منه وضُرِبَتْ عُنُقُهُ[4], وابن الرُّوميّ أورد تلك القصَّة ليؤكِّد عدل الخليفة, فعدله يتساوى فيه القريب والبعيد.

---

[1] سلمان, عاهد طه عبد اللَّطيف عيال, أدب الحرب عند العماد الأصفهانيّ, جامعة مؤتة, رسالة دكتوراه, 2011م, ص97.

[2] ديوانه, ص188.

[3] ديوانه, 34/1.

[4] المصدر السَّابق, 33/1.

خاتمة:

وبعد هذا العرض لصورة البطل الخليفة نستطيع في نهاية هذا البحث أن نُثْبِتَ النَّتائج الآتية:

- وجد البحث أنَّ شعراء القرن الثَّالث لم يختلفوا في مدائحهم عمَّن سبقهم من شعراء العصر الأمويّ, لذلك جاء مدحهم في صورة تقليديَّة تكاد تصل إلى المثاليَّة.
- أظهرت دراسة الصُّورة الدِّينيَّة للبطل الخليفة ثباتها وعدم اختلافها في زمَنَي القوَّة والضَّعف في القرن الثَّالث الهجريّ.
- كان مدح البطل الخليفة بعراقة النَّسب تابعاً لأعمال الخليفة القويّ, لكنَّ المدح به صار أصلاً في زمن الضَّعف لانتفاء وجود عمل عسكريّ كبير يقوم به الخليفة.
- كانت صورة البطل الخليفة السِّياسيَّة تقليديَّة لا جديد فيها إلَّا ما جدَّ في هذا العصر, وشارك قوَّاد الجيش ورجال الدَّولة الخليفةَ في مدح الشُّعراء لهم في زمن الضَّعف بعد أن كان الخليفة هو البطلَ الأوحدَ زمن القوَّة.

فهرس المصادر والمراجع:

1. ألتونجيّ, محمد, المعجم المفصَّل في الأدب, دار الكتب العلميَّة, بيروت, لبنان, ط2, 1419هـ - 1991م.
2. البحتريّ (284هـ), ديوانه, تحقيق: حسن كامل الصَّيرفيّ, دار المعارف, ط3, د.تا.
3. البخاريُّ (256هـ), أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل, صحيح البخاريّ, دار ابن كثير, دمشق, ط1, 1423هـ - 2002م.
4. البغداديُّ (463هـ), الخطيب, أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت, تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السَّلام وأخبار محدِّثيها وذكر قُطَّانها العلماء من غير أهلها وواريديها), حقَّقه وضبط نصَّه وعلَّق عليه: د. بشَّار عوَّاد معروف, دار الغرب الإسلاميّ, بيروت, ط1, 1422هـ - 2001م.
5. التِّبريزيُّ (502هـ), الخطيب, شرح ديوان أبي تمَّام (231هـ), راجي الأسمر, دار الكتاب العربيّ, ط2, 1414هـ - 1994م.
6. ابن الجهم (249هـ), عليّ, ديوانه, تحقيق: خليل مردم بك, دار الآفاق الجديدة, ط2, بيروت, 1400هـ, 1980م.
7. ابن حازم الباهليُّ (215هـ), محمَّد, ديوانه, محمَّد خير البقاعيّ, دار قتيبة, دمشق, د.ط, 1402هـ - 1982م.
8. الحَوْفِيّ, أحمد, البطولة والأبطال, مكتبة نهضة مصر, القاهرة, 1957م.
9. ابن خلدون, وليُّ الدِّين عبد الرَّحمن بن محمَّد (808هـ), مقدِّمة ابن خلدون, تحقيق: عبد الله محمَّد الدَّرويش, دار يعرب, ط1, 2004.
10. ابن خَلِّكان (681 هـ), أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن أبي بكر, وَفَيَاتُ الأعيان وأنباءُ أبناء الزَّمان, حقَّقه: د. إحسان عبَّاس, دار صادر, بيروت, د.ط, د.تا.

11.دهمان, د. أحمد عليّ, الصُّورة البلاغيَّة عند عبد القاهر الجرجانيّ منهجاً وتطبيقاً, منشورات وزارة الثَّقافة, دمشق, ط2, 2000م.

12.الرَّافعيّ, مصطفى صادق, تاريخ آداب العرب, دار الكتاب العربيّ, بيروت, ط4, 1394هـ ـ 1974م.

13.ابن الرُّوميّ (283هـ), ديوانه, أحمد حسن بسج, دار الكتب العلميَّة, بيروت, ط3, 1423هـ, 2002م.

14.الزِّركليُّ (1973م), خير الدِّين, الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرِّجال والنِّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين), دار العلم للملايين, بيروت, ط15, 2002م.

15.سلمان, عاهد طه عبد اللَّطيف عيال, أدب الحرب عند العماد الأصفهانيّ, جامعة مؤتة, رسالة دكتوراه, 2011م.

16.السُّيوطيُّ (911هـ), جلال الدِّين, تاريخ الخلفاء, دار ابن حزم, ط1, 1424هـ, 2003م.

17.الصَّفديُّ (764هـ), صلاح الدِّين خليل بن أيبك, الوافي بالوفيات, تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط ـ تركي مصطفى, دار إحياء التُّراث العربيّ, بيروت, ط1, 1420هـ ـ 2000م.

18.ضيف, شوقي: 1. البطولة في الشِّعر العربيّ, دار المعارف, القاهرة, ط2, د.تا.
2. العصر العبَّاسيُّ الأوَّل, دار المعارف, مصر, ط16, 2004.

19.الطَّبريُّ (310هـ), أبو جعفر محمَّد بن جرير, تاريخ الطَّبري (تاريخ الرُّسل والملوك), تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم, دار المعارف, مصر, ط2, د.تا.

20.طقوش, محمَّد سهيل, تاريخ الدَّولة الأمويَّة, دار النَّفائس, ط7, 1431هـ, 2010م.

21.ابن عبد الملك الزَّيَّات (232هـ), محمَّد, ديوانه, تحقيق: جميل سعيد, المجمع الثَّقافيُّ, ط1, د.تا

22.القيروانيُّ (456هـ), ابن رشيق, أبو عليٍّ الحسن, العمدة في محاسن الشِّعر وآدابه ونقده, تحقيق: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد, دار الجيل, ط5, 1401هـ ـ 1981م.

23.محمَّد, سالمة جاسم, البطولة في الشِّعر العربيّ في عصر الحروب الصَّليبيَّة, مجلَّة التَّربية والعلم, مج13, ع2, 2006م.

24.المرامحيّ, قابل رشيد نافع, صورة البطل في شعر أبي تمَّام, رسالة ماجستير, جامعة أمِّ القرى, 1435هـ.

25.المَرْزُبانيُّ (384هـ), أبو عبيد الله محمَّد بن عمران بن موسى, معجم الشُّعراء, تحقيق: د. فاروق اسليم, دار صادر, بيروت, 1425هـ ـ 2005م.

26.ابن المعتزّ, عبد الله بن محمَّد, ديوانه, دار صادر, بيروت, د.ط, د.تا.

27.المقدسيُّ, أنيس, أمراء الشِّعر العربيّ في العصر العبَّاسيّ, دار العلم للملايين, بيروت, ط17, 1989م.

28.ابن منظور (711هـ), محمَّد بن مَكْرَم, لسان العرب, دار صادر, بيروت, ط2, 1412هـ, 1992م.

29.ابن المهديّ, إبراهيم, شعره وأخباره ونثره (224هـ), جمع وتحقيق ودراسة: محمَّد مصطفى أبو شوارب, الإسكندريَّة, ط1, 2007م.

30.وهبة, مجدي ـ المهندس, كامل, معجم المصطلحات العربيَّة في اللُّغة والأدب, مكتبة لبنان, بيروت, ط2, 1984م.